مدائن إسلامية (١)
من سن ٨ : ١٢



Amly
http://arabicivilization2.blogspot.com

مَكَّةُ المُكَرَّمَة

أحمد سويلم

سفير

مدائن إسلامية

(١)

Amly

http://arabicivilization2.blogspot.com

مكة المكرمة

أحمد سويلم

رسوم

سعيد عمرى

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لشركة سفير

رقم الإيداع : ٩٣/٩٢٣١ الترقيم الدولى : 3-262-261-977

وعده أبوه إذا تفوق فى دراسته وحصل على أعلى الدرجات .. أن يرافقه ليؤديا سُنة العمرة .. ويقوما معًا بزيارة قبر الرسول ﷺ فى المدينة المنورة .

وكان محمود يستمع كثيراً إلى إمام المسجد يوم الجمعة .. وهو يذكُر الناس بفضل الكعبة المشرفة .. ويحكى عن مكة وتاريخها .. فتاقت نفسه إلى زيارة هذه البقعة الطاهرة .

ويتحقق الحلم .. ويسافر محمود مع أبيه ليعود بذكريات كثيرة طيبة .. ويلتقى مع أصدقائه المقربين .. وقلبه مملوء بالإيمان والسعادة بعد هذه الرحلة الروحية الجميلة .

قال له أصدقاؤه : حمداً لله على سلامتك .. وعُمْرة مباركة .

قال محمود : أدعو الله أن يجمعنا عند بيته الحرام . إنها متعة روحية لا تعدلها أية متعة .

قال صديق له: نحن إذن فى شوق لأن تقصّ علينا .

قال محمود : مهما أحكِ لكم ، فلن أستطيع أن أنقل إليكم كل شىء .. لكننى سأحاول، وليوفقنى الله .

ساد صمت قصير ، استجمع فيه محمود ذاكرته .. يوم تمت إجراءات السفر .. وصَحِبه والده إلى هذه الرحلة.. وكانا بين فوج كبير من المسلمين الذين قصدوا بيت الله الحرام .

قال محمود : لقد بدأنا مُحرِمين إلى مكة المكرمة ، تعلو أصواتنا مهللة مكبرة :

«لبيك اللهم لبيك ... لبيك لا شريك لك لبيك ..

إن الحمد والنعمة لك والملك ..

لا شريك لك لبيك .. » .

سألت نفسى : تُرى ، كم من المسلمين زاروا هذا البلد الأمين ؟ . ويبدو أن أبى أنصت إلىَّ .. فأراد أن يطمئننى قائلا :

– بل قل يابنى . . كم من الناس زاروه .. منذ أمر الله تعالى جدنا إبراهيم عليه السلام ببناء الكعبة .

وتتملكنى رعشة داخلية .. وأنا أعود إلى ذلك التاريخ القديم الذى يجيب على كثير من الأسئلة التى تدور فى ذهنى .

هذا هو سيدنا إبراهيم عليه السلام ، يُولد فى عهد ملك طاغٍ يُسمَّى «النمرود» ، وكان أبوه «آزر» يصنع الأصنام ويبيعها .. فلما أصبح إبراهيم شاباً .. آتاه الله رشده .. فتوجه إلى أبيه وقال له :

– يا أبت ، لِمَ تعبد مالا يسمع ولا يبصر .. ولا يغنى عنك شيئًا .. فيرد أبوه آزر فى غلظة :

أفهم من هذا أنك تنكر آلهتنا يا إبراهيم .. إذا كنت كذلك فلست ولدى ولن أعفيك من العقاب .

وأراد إبراهيم أن يقنع قومه بأن هذه الأصنام لا تضر ولاتنفع ..

فانتظرخروجهم فى يوم عيد لهم فدخل على ساحة الأصنام ليجد أمامها طعاماً فيقول لها ساخراً :

– ألا تأكلين . . ؟

فلما لم تجبه الأصنام .. انهال عليها تحطيماً .. ثم علَّق الفأس فى عنق الصنم الأكبر ..

ولما علم «النمرود» بذلك .. أمر بإلقاء إبراهيم فى نار شديدة ..

لكن الله – تعالى – أمر النار أن تكون برداً وسلاماً على إبراهيم .

ثم تزوج «إبراهيم» بابنة عمه «سارة» .. وكانت لا تلد ..

فأهدت له جاريتها هاجر .. لعله يرزق منها بولد .. فولدت له «إسماعيل» عليه السلام ..

ثم أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام بأن يأخذ هاجر ووليدها ويخرج بهما إلى الصحراء .

ويظل الثلاثة يسيحون فى الأرض .. حتى نزلوا بمكان حار لا ماء فيه ولا زرع .. ولما همَّ إبراهيم عليه السلام بالانصراف نادته هاجر قائلة :

هل أمرك الله بهذا ؟

قال : نعم .

قالت : إذن .. لن يضيّعنا .

ويتركهما إبراهيم عائداً إلى الشام وهو يناجى ربه الكريم :

﴿رب إنى أسكنت من ذريتى بوادٍ غير ذى زرع عند بيتك المحرم . ربنا ليقيموا الصلاة . فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم . وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾

وتمضى الأيام ..

ويعود إبراهيم إلى حيث ترك زوجته وولده .. ليجد دعوته قد استُجيبت حينما تفجر بئر زمزم تحت قدمى الطفل «إسماعيل .. ويأمره الله ببناء بيته الحرام و أن يؤذّن فى الناس بالحج .

طافت هذه الذكرى فى ذاكرة محمود وهوعلى مشارف مكة ..

تلك البقعة الطاهرة التى لم يكن فيها ماء ولا زرع .. لكنها اليوم مدينة كبيرة تجمع المبانى القديمة والحديثة جنباً إلى جنب .

ويكمل محمود رحلته إلى أصدقائه :

– لقد قطعت السيارة المسافة مابين «جدة» و«مكة» فى حوالى الساعة ، وقطعت الطائرة المسافة من القاهرة إلى جدة فى أقل من ساعتين .. وها نحن الآن على مشارف مكة .

ويقطع تأملاتى مُرافِق الرحلة .. وهو يقرأ فى كتاب معه :

– هذه هى مكة .. البلد الأمين ..

وقد سُمِّيت مكة لازدحام الناس فيها .. أو لأنها تَمتُك الجبَّارين أى تقطعهم .. ولها أسماء كثيرة ، منها ما أورده الله عز وجل فى القرآن الكريم مثل :

البلد الأمين .. وبكة .. وأم القرى .. البيت العتيق .. والحرم ..

ومنها مااشتهرت به مثل : الحاطمة

وعنه ﷺ أنه قال فى فضلها :

«من صبر على حرِ مكة ساعة من نهار .. تباعدت منه جهنم مسيرة مائتى عام .. وتقربت منه الجنة مسيرة مائتى عام »

وتعلو أصواتنا بالتلبية مرة أخرى : لبيك اللهم لبيك ..

– إن مكة الآن تستقبلنا !

فتذكرت .. حينما دخلها الرسول الكريم فاتحًا فى العام الثامن من الهجرة (٦٢٩م) ، بعد أن ظل هو وصحابته بعيدين عنها فى المدينة المنورة .. فيلقون هناك الأنصار يرحبون بهم ويقتسمون معهم كل شىء .

إن كثيراً من المهاجرين ينتسبون إلى مكة ..

وقد أكثر الله تعالى الثناء عليهم فى كتابه العزيز .. فقد تحمَّلوا الكثير إلى جانب

الرسول الكريم ﷺ فى سبيل نشر الدعوة الإسلامية .

السلام عليك يا أم القرى ..

ندخلك كما دخلك من قبل رسولنا الكريم وصحابته الكرام.

ويلوح أمامنا الآن مسجد بلال بلونه الأبيض .. الذى يقع على قمة جبل أبى قبيس كم كانت هذه المنطقة صحراء جرداء حينما هبط إليها إبراهيم وإسماعيل وهاجر، ثم كانت مكة .. مدينة مستطيلة فى البداية ذات شعاب كثيرة .. لها مبدأ ونهايتان ، مبدؤها «المعلاة» ومنتهاها من ناحية جدة «الشبيكة» ومن ناحية اليمن «بازان» وكان شكلها كالسلحفاة الرابضة .. وبها جبلان اسمهما الأخشبان ، وهما جبل أبى قبيس – وهو المشرف على الصفا والمروة –حيث سعت هاجر فى طلب الماء – والجبل الأحمر.. وهو المشرف على «قعقعان».

ويقع المسجد الحرام بين هذين الجبلين ، تحيط به بيوت أهل مكة ..

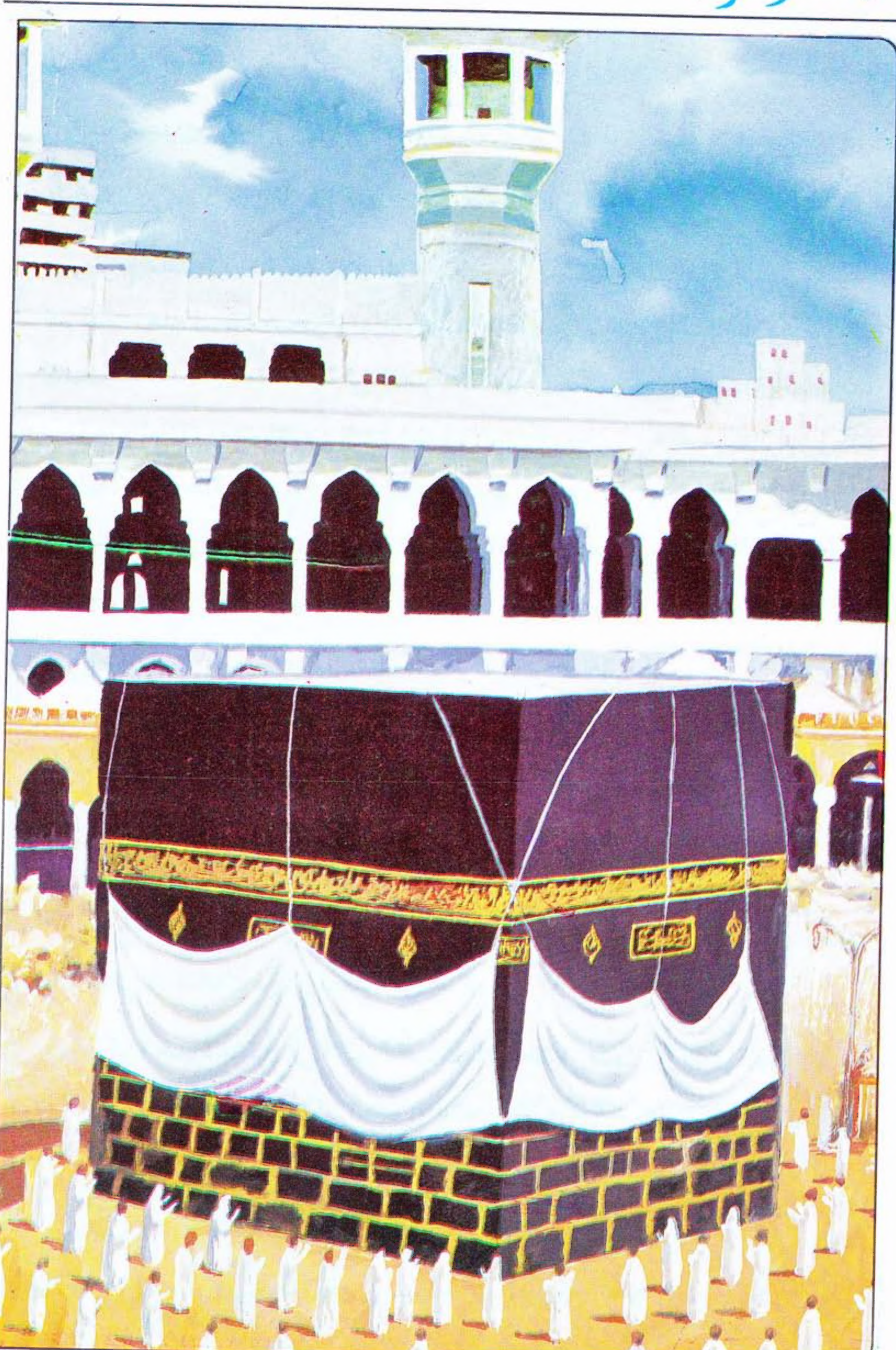
ثم يقبل عليها الناس من كل فج عميق .. يريدون أن يسكنوها حتى أصبحت مدينة كبيرة .

وكانت دار الندوة بالقرب من الكعبة .. وهى تشبه البرلمانات المعاصرة ..

ويرجع أصل هذه الدار إلى قصى بن كلاب الجد الرابع للنبى ﷺ الذى جعلها مكانًا يلتقى فيه سادات قريش لمناقشة أمور حياتهم .

ويتذكر محمود ما قرأه فى أحد الكُتيبات التى حصل عليها .. والذى يحكى تاريخ مكة.. حينما قام بالإشراف على الكعبة بعد إسماعيل عليه السلام ابنه نابت .. ثم انفرد بالإشراف عليها بعض زعماء قبيلة جُرهُم ..

ثم صارت ولاية الكعبة فى أولاد أياد بن نزار ، لتنتهى إلى خزاعة .. حتى برزت قبيلة قريش حيث تولّى الكعبة قُصى بن كلاب لتظل فى رعاية قريش .. حتى فتحها



الكعبة المشرفة

المسلمون لتكون خالصة للإسلام والمسلمين.

ويعلو صوت «محمود» مصليًا ومسلّمًا على الرسول الكريم ﷺ ..

وعلى جده إبراهيم الخليل عليه السلام الذى دعا الناس إلى هذا البيت العتيق؛ فأقبلوا من كل مكان يطوفون ويلبون .. ويكبرون.

ويجىء عام الفيل (٥٧١م)، هذا العام الذى شهد حدثين عظيمين ..

أولهما مولد سيدنا محمد ﷺ فى مكة ..

والثانى هزيمة أبرهة ملك الحبشة الذى ساق جنوده يتقدمهم فيل ضخم يريد هدم بيت الله الحرام وفى هذا قال المولى عز وجل: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم فى تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل .. ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول﴾.

ولقد ظل الناس يؤرخون أحداثهم بعام الفيل هذا ..

حتى عهد سيدنا عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- حيث أمر أن يؤرخ الناس أحداثهم بهجرة الرسول الكريم من مكة إلى المدينة (٦٢٢م)، تلك الهجرة التى قال فيها الرسول الكريم ﷺ مودعًا مكة:

« والله إنك أحب أرض الله إلىّ .. ولولا أن أهلك أخرجونى منك ماخرجت»

أما عائشة أم المؤمنين .. فقد كان قلبها يمتلئ حبًا لمكة .. وكانت تقول:

«لولا الهجرة لسكنت مكة .. فإنى لم أر السماء بمكان أقرب إلى الأرض منها بمكة .. ولم يطمئن قلبى ببلد قط ما اطمأن بمكة .. ولم أر القمر بمكان أحسن منه بمكة»

ويصمت محمود قليلا .. لكى يطير بجناح الشوق إلى هذا البلد الأمين.

- لقد كان اليوم حارًا .. لكننا لم نشعر إلا بدفء الروح والإيمان ..

وبدأنا نؤدّى مناسك العمرة .. من طواف بالكعبة إلى السعى بين الصفا والمروة .. إلى الصلاة فى مقام إبراهيم .. ثم شربنا من ماء زمزم المبارك .. ثم تحللنا أخيراً من إحرامنا .

وهنا ... سأل أحد أصدقاء محمود أن يحدثه قليلا عن البيت الحرام .. ويفتح محمود كُتيبًا صغيرًا .. وقرأ هذه السطور :

– المسجد الحرام هو أفضل المساجد على الإطلاق ..

ويحيط بالكعبة .. وكان أول من بناه الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .. ثم وُسِّع فى أيام الخليفة عثمان بن عفان سنة (٢٦ هـ = ٦٤٦م) ، ثم زاد فيه عبد الله بن الزبير عام (٦٥هـ = ٦٨٤م) زيادة كبيرة .

وهكذا توالت الإضافات عبر السنين حتى قامت الحكومة السعودية بعمارة ضخمة للمسجد الحرام فوسَّعت فيه ..

وأنشأت حوله الطرق والميادين الكبيرة .. وأصبح الحرم مكونًا من طابقين ، ومزودًا بسلالم كهربائية متحركة ، ويضم فى حرمه ، المسعى بين الصفا والمروة إلى جانب بئر زمزم ، وهو الآن يستوعب عدداً ضخماً من المصلِّين .

ويسأل صديق آخر محمود عن الكعبة ... كيف رآها ؟ .

قال محمود : إنه مشهد روحى لايوصف يا أصدقائى ..

لقد أحسستُ أن روحى تحلق فى السماء وأن دعائى لا يحجبه عن الله حجاب .

إن الكعبة يا أصدقائى تتوسط الحرم .. وهى ترتفع نحو(١٥) متراً ، وطول أضلاعها يتراوح مابين (١٠ ، ١٢) متراً ..

وبابها فى الضلع الشرقى ، ويرتفع نحو مترين عن الأرض ..

أما ارتفاع الباب نفسه فيبلغ مترين .. وتحليه زخارف هندسية جميلة .

مقام إبراهيم

ويسأله صديق آخر : وأين يوجد الحجر الأسود؟

قال محمود : إنه يوجد فى الركن الشرقى من الكعبة على ارتفاع متر ونصف ، حيث يبدأ من أمامه الطواف بالكعبة سبعة أشواط ..

وعلى من يطوف أن يُقَبِّله .. فإذا لم يستطع .. فعليه أن يشير إليه .

وكانت الكعبة فيما مضى تُكسى بقماش مصرى يُسمَّى (القباطى) واستمرت على ذلك حتى كساها الرسول الكريم ﷺ قماشًا يمنيًا ..

وكان الخليفة المهدى العباسى أول من كساها الحرير الأسود ولما ضعفت الدولة العباسية كان ولاة مصر وولاة اليمن يكسون الكعبة الشريفة ..

ثم إنفرد ولاة مصر بذلك حتى عام ١٩٦٢م حيث قام ملك السعودية بكسوتها بالحرير الأسود. وفى مكة الآن دار للكسوة يقوم رجالها بنسج (٨٧٥) مترًا من القماش السميك الذى يُستخدم فى صنع الكسوة . ومن اللافت للنظر فى المسجد الحرام وجود أعدادٍ كثيرة من الطيور تعيش فى أمان بين الناس .

– لبيك اللهم لبيك .. لبيك لاشريك لك لبيك ..

– أكمل يا صديقنا .. زدنا من فضل الله ..

ويواصل محمود ذكرياته الطيبة :

– كانت فرصة طيبة أن أزور أنا وأبى معالم مكة الأخرى ..

ففى شمال «مكة» – على بعد خمسة كيلو مترات – يقع جبل النور ، هذا الجبل الذى كان النبى ﷺ يتعبد فى غار يُسمَّى غار حراء ، حتى هبط عليه الوحى بقوله تعالى : ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق .. خلق الإنسان من علق ..﴾

وبالقرب من جبل الصفا قيل لنا : هنا كانت توجد دار الأرقم بن أبى الأرقم التى

غار حراء

كان النبى ﷺ يدعو الناس فيها سرًا إلى الإسلام .

وعلى مسافة تسعة كيلو مترات جنوبى مكة ، يوجد جبل ثور حيث لجأ الرسول الكريم ﷺ وصاحبه أبو بكر ثلاثة أيام فى طريق الهجرة إلى المدينة المنورة ..

أما مساجد مكة فقد حرصت على زيارتها مثل : مسجد الراية حيث ركز الرسول ﷺ فيه الراية يوم فتح مكة .. ويقع حاليا فى شارع الغزة ، ومسجد الإجابة.. ويقع فى المعابدة ومسجد أم المؤمنين عائشة ويقع عند حدود الحرم فى الشمال الغربى لمكة ، ومسجد ذى طوى .. ومسجد الخيف فى منى .. ومسجد الكبش فى منى أيضًا .. نسبة إلى الكبش الذى افتدى الله تعالى به إسماعيل عليه السلام ..

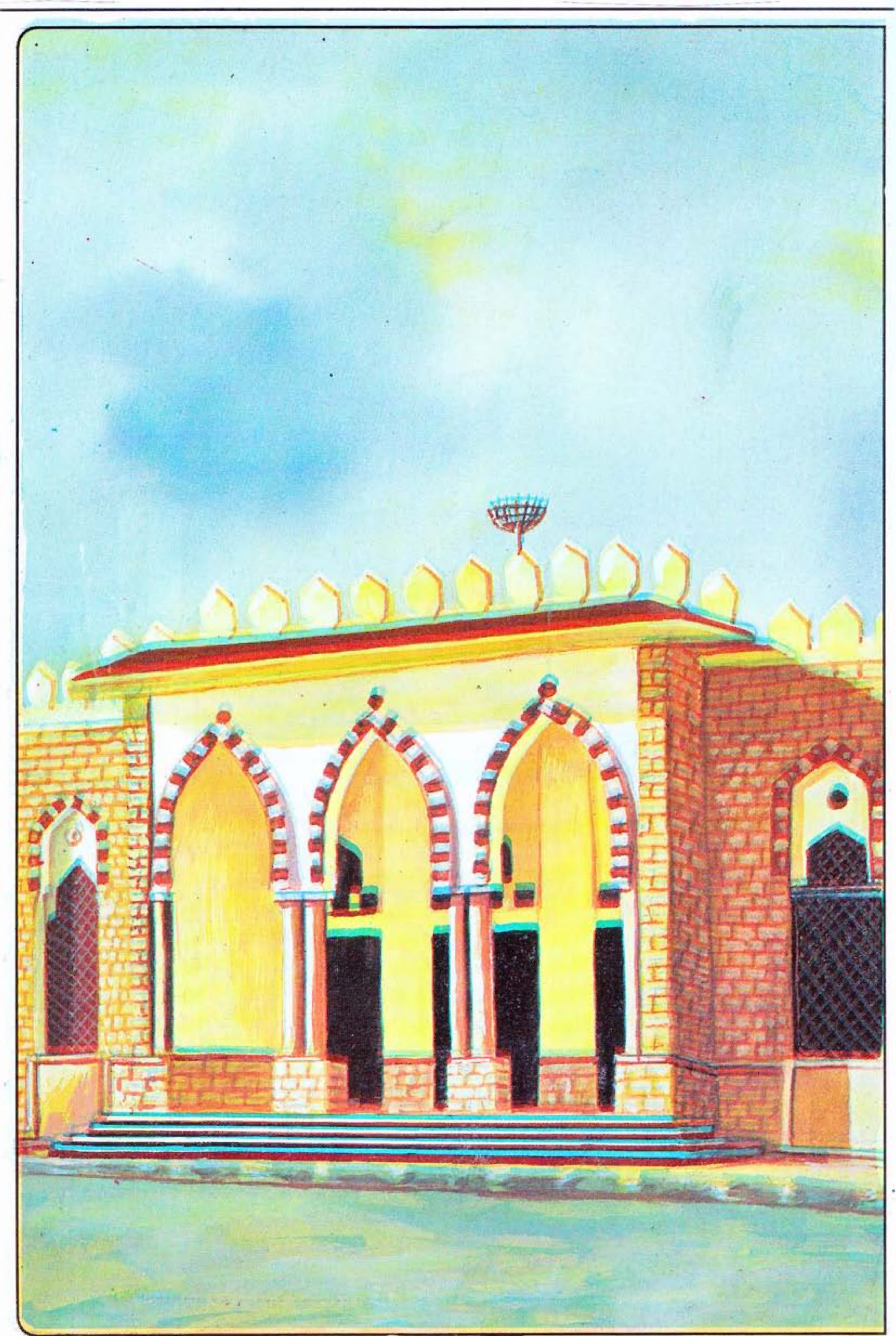
ومسجد نمرة ومسجد البيعة ويقع قُرب جمرة العقبة.. ومسجد الفتح .. ومسجد الكوثر.. ويقعان على يمين القاصد إلى عرفات حيث يقف حجاج بيت الله فى التاسع من ذى الحجة كل عام .. ومسجد خالد بن الوليد بحارة الباب بمكة .. ومسجد المشعر الحرام .

وهنا تساقطت دموع محمود من عينيه ومن شدة التأثر والحنين إلى هذه الرحلة الروحية المباركة ..

وشاركه الأصدقاء هذا الشعور الطيب .. ثم ينظرون إلى ساعاتهم .. لقد بقيت دقائق قليلة على صلاة العصر .

وينهض الجميع خاشعين متجهين إلى قبلة الإسلام فى مكة المكرمة إلى الكعبة الشريفة ، أول بيت بُنى للناس فوق الأرض يعبد الله فيه.

وعلى وعد باستكمال الرحلة إلى المدينة .. إن شاء الله .



مسجد نمرة

مسجد المشعر الحرام

كان الإسلام - ولايزال - ضوءاً ساطعًا بالهدى والعلم والحضارة والتقدُّم وحيثما كان يهبط هذا الضوء تُقام المآذن ويرتفع صوت الإيمان بالتهليل والتكبير ويرتفع الحق شامخًا فوق الباطل .

وهذه بعض المدائن الإسلامية التى لعبت دورًا تاريخيا فى انتشار الإسلام وتأكيد قيمه وإعلاء كلمته نقدمها اليوم إلى الناشئة لتعرُّف هذه الملامح الخالدة لحضارة الإسلام

اقرأ فى هذه السلسلة :

١ - مكة المكرمة
٢ - المدينة المنورة
٣ - القدس
٤ - الفسطاط
٥ - القيروان
٦ - سراييڤو
٧ - استانبول
٨ - غرناطة

سفير ٥ ش جزيرة العرب - المهندسين - القاهرة
ت : ٣٣٥٢٧١١-٣٣٥٢٧١٢- فاكس : ٣٤٨٠٢٩٩ ص.ب:٤٢٥ الدقى